﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلًا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾ [البقرة: 168]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمّا بَيَّنَ التَّوْحِيدَ ودَلائِلَهُ، ومَا لِلمُوَحِّدِينَ من الثَّوابِ، وأَتْبَعَهُ بِذِكْرِ الشِّرْكِ، ومَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا، أَتْبَعَ ذَلِكَ بِذِكْرِ إِنْعَامِهِ عَلَى الفَرِيقَيْنِ، وإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وبيان أَنَّ مَعْصِيَةَ مَنْ عَصَاهُ، وكُفْرَ مَنْ كَفَرَ بِهِ، لَمْ تُؤَثِّرْ في قَطْعِ إِحْسَانِهِ ونِعَمِهِ عَنْهُمْ، فقَالَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ لِأَنَّهُ تعالى رَبُّ العَالَمِينَ، فإِحْسَانُهُ عَامٌّ لِجَمِيعِ الأَنَامِ، دُونَ تَمْيِيزٍ بَيْنَ مُؤْمِنٍ وكَافِرٍ، وبَرٍّ وفَاجِرٍ[1].

العَلاقَةُ بَيْنَ إِنْعامِ اللهِ، والحَثِّ عَلى أَكْلِ الطَّيِّباتِ، واجْتِنابِ المَنْهِيَّاتِ

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿كُلُواْ﴾: من الجذرِ (أكل)، والأَكْلُ: تناوُلُ المَطْعَم، والأُكْلُ: لِما يُؤْكَلُ، قال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٞ﴾ [الرّعد: 35]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِى بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ﴾ [النّساء: 10]، تنبيهًا على أنّ تناوُلَهُمْ لأموال اليتامى ظلماً يُؤَدّي بهمْ إلى النّارِ[2].

أكل الطيّبات من نعم الله على عباده الصّالحين

2) ﴿حَلَٰلًا﴾: مِنَ الجذرِ (حلّ)، وأَصْلُ المادّة: فتْحُ الشَّيْءِ، يُقَالُ حَلَلْتُ العُقْدَةَ أَحُلُّهَا، والحَلَالُ: ضِدُّ الحَرَامِ، مِنْ حَلَلْتُ الشَّيْءَ، إِذَا أَبَحْتَهُ وأَوْسَعْتَهُ لِأَمْرٍ فيه[3]، حَلَّ الشَّيْءُ حلالًا، قال الله تعالى: ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۖ﴾ [المائدة: 88]، وقال تعالى: ﴿هَـٰذَا حَلَٰلٞ وَهَـٰذَا حَرَامٞ﴾ [النّحل: 116][4]، ومعنى الحَلالِ: المباحُ الّذي انْحَلّتْ عُقْدَةُ الحَظْرِ عنه[5].

أكلُ الطّيّب الحلال، مأمورٌ الله ذي الجلال

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 5/185، وزاده، حاشية على البيضاوي: 2/413.
(2) الراغب، المفردات: (أكل)
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حلّ).
(4) الراغب، المفردات: (حلل).
(5) الواحدي، التّفسير البسيط: 4/483.

لا يكون الحلال إلّا طيّبًا

3) ﴿طَيِّبًا﴾، أصلُ مادّة (طيب) يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الخَبِيثِ، مِنْ ذَلِكَ الطَّيِّبُ: ضِدُّ الخَبِيثِ، والأَطْيَبَانِ: الأَكْلُ والنِّكَاحُ[1]، وأصل الطَّيِّبِ: ما تَسْتَلِذُّهُ الحَواسُّ، وما تَسْتَلِذّهُ النّفسُ، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: 172]، ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [النّحل: 114][2]، وهو ما يُسْتَلَذُّ ويُستطابُ، ووُصفَ به الحلالُ على جِهَةِ التَّشْبيهِ؛ لأنّ النَّجِسَ تكرهُهُ النّفسُ، فلا يُسْتَلَذُّ، والحرامُ غيرُ مُسْتلَذّ؛ لأنّ الشّرع يَزْجُرُ عَنْهُ[3].

من احتذى خطوات الشّيطان، لم يكن من شرّه في أمان

4) ﴿خُطُوَٰتِ﴾: مِنَ الجذرِ (خطو)، وأصلُ هذه المادّة يَدُلُّ عَلَى تَعَدِّي الشَّيْءِ، والذَّهَابِ عَنْهُ، والخُطْوَةُ: مَا بَيْنَ الرِّجْلَيْنِ[4]، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾ [البقرة: 168]، أي: لا تتَّبعُوهُ[5]، المعْنَى: لا تتَّبعوا سَبيلَه، ولا تَسْلُكوا طريقَهُ، ولا تَأْتَمّوا به، ولا تَقْفُوا أَثَرَهُ[6].

الشّيطان عدوٌّ الإنسان في كلّ أوان

5) ﴿عَدُوٌّ﴾: مِنَ الجذرِ (عدو)، وأصلُ هذه المادّة يَدُلُّ عَلَى تَجَاوُزٍ في الشَّيْءِ وتَقَدُّمٍ لِمَا يَنْبَغِي أَنْ يُقْتَصَرَ عَلَيْهِ[7]، والعَدْوُ: التّجاوُزُ ومُنافاةُ الالْتِئام، فمن المعاداة يقال: رجل عدوٌّ، وقوم عدوٌّ، قال تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ﴾ [طه: 123][8].

الأمرُ بِتَوَخّي الطَّيِّباتِ، ومُجافاةِ الشَّيْطانِ وسُبُلِهِ الخادِعاتِ

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يخاطِبُ اللّه تعالى النّاسَ مُبيِّنًا لهمُ المباحَ مِنَ الطّيِّباتِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ الَّذِي أَبَاحَهُ لَكُمْ في الأَرْضِ، وهُوَ الطَّاهِرُ غَيْرِ النَّجِسِ، النَّافِعُ غَيْرِ الضَّارِّ، فكُلّ ما في الأرض هُوَ حَلالٌ طيِّبٌ،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طيب).
(2) الراغب، المفردات: (طيب).
(3) الواحدي، التّفسير البسيط: 4/483.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خطو).
(5) الراغب، المفردات: (خَطو).
(6) الواحدي، التّفسير البسيط: 3/484.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عدو).
(8) الراغب، المفردات: (عدو).

إلّا بَعضَ ما حُرّم عَليهِمْ، ولَا تَتَّبِعُوا طُرُقَ الشَّيْطَانِ في التَّحْلِيلِ والتَّحْرِيمِ، والمَعَاصِي، إنَّهُ عَدُوٌّ لَكُمْ ظَاهِرُ العَدَاوَةِ[1].

إنَّ في الحَلالِ مَندوحَةً عَنِ الحَرامِ

وهذه الآيَةُ نَزَلَتْ في ثَقِيفٍ وخُزَاعَةَ وعَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، حَرَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِن الحَرْثِ والأَنْعَامِ، وحَرّمُوا البَحِيرَةَ والسَّائِبَةَ والوَصِيلَةَ والحَامِي[2]، وقَالَ ابْنُ عَبَّاس، في رِوَايَةِ أَبِي صَالِح: نَزَلَتْ في الَّذِينَ حَرَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِم السَّوَائِبَ والوصَائِلَ والبَحَائِرَ، وقَالَ في رِوَايَةِ عَطَاءٍ: يَعْنِي: المُؤْمِنِينَ خَاصَّةً[3].

❁ الإيضاح اللُّغَوِيُّ والبَلاغِيُّ:

فائِدَةُ الاستِئْناف في قَوْله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾:

أكلُ الطّيّباتِ مِنْ نِعَمِ اللهِ على عِبادِهِ الصّالِحينَ

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾، اسْتِئْنَافٌ ابْتِدَائِيٌّ، وهُوَ تَمْهِيدٌ، وتَلْخِيص لِمَا يَعْقِبُهُ مِنْ ذِكْرِ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ، في الأَطْعِمَةِ وغَيْرِهَا، الَّتِي سَتَأْتِي مِنْ قَوْلِهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: 172]"[4].

دَلَالَة فِعْلِ الأَمْرِ في قَوْلِهِ: ﴿كُلُواْ﴾:

(كلوا ممّا في الأرضِ) يَدُلُّ عَلَى الإِبَاحَةِ

فِعْلُ الأَمْرِ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يَدُلُّ عَلَى الإِبَاحَةِ[5]، إذ من المُستحيلِ أن يُؤمرَ النَّاسُ بأكلِ كلّ ما في الأرضِ جميعًا، إذ هو خارجٌ عن نِطاقِ الاستطاعَةِ، داخلٌ في دائرةِ الاستحالَةِ، ففُهم أنَّ الأمرَ للتَّخيير، وهو الإباحةُ، وهو ما يدُلُّ عليه التَّبعيضُ، هذا في أصلِ الأمرِ، والتَّفصيلُ أَنَّ "الأَمْرَ مُسْتَعْمَلٌ في كُلٍّ

(1) التفسير الميسر، ص: 25.
(2) أسباب النّزول، الواحديّ، ص: 48، والعجاب في بيان الأسباب: 1/416.
(3) الواحدي، التّفسير البسيط: 3/482.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/101.
(5) النّسفيّ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 1/149.

مِن الوُجُوبِ والنَّدْبِ والإِبَاحَةِ، الأَوَّل إِذَا كَانَ لِقِيَامِ البِنْيَةِ، والثَّانِي كَالأَكْلِ مَعَ الضَّيْفِ، والثَّالِثُ كَغَيْرِ مَا ذُكِر"[1]، وهو الأكثرُ.

حِكْمَةُ التَّبْعِيضِ في قَوْلِهِ: ﴿مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾:

الأكْلُ مِنْ كُلّ ما في الأرْض، عَامٌّ مُخَصَّصٌ بِكَوْنِهِ حلالًا طيّبًا

(مِنْ) في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ لِلتَّبْعِيضِ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا في الأَرْضِ لَيْسَ بِمَأْكُولٍ[2]؛ وذَلِكَ "لِقَطْعِ بِأَنَّ في الأَرْضِ مَا هُوَ حَرَامٌ، كَالحِجَارَةِ، لَا يُؤْكَلُ أَصْلًا، ولَيْسَ كُلُّ مَا يُؤْكَلُ يَجُوزُ أَكْلُهُ؛ فلِذَلِكَ قَالَ: ﴿حَلَٰلًا﴾ وفَائِدَةُ التَّبْعِيضِ هُنَا بَيَانُ التَّنْوِيعِ"، فالتَّبْعِيضُ رَاجِعٌ إِلَى كَوْنِ المَأْكُولِ بَعْضًا مِنْ كُلِّ نَوْعٍ، ولَيْسَ رَاجِعًا إِلَى كَوْنِ المَأْكُولِ أَنْوَاعًا دُون أَنْوَاعٍ؛ لِأَنَّهُ يُفَوِّتُ غَرَضَ الآيَةِ، فـ﴿مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، عَامٌّ خَصَّصَهُ الوَصْفُ بِقَوْلِهِ: ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾، فخَرَجَتِ المُحَرَّمَاتُ الثَّابِتُ تَحْرِيمُهَا بالكِتَابِ، أَوِ السُّنَّةِ"[3].

دَلَالَةُ العُمُومِ في قَوْلِهِ: ﴿مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾:

الأصْـل حِـلُّ ما في الأرْضِ، حَتّى يَرِدَ دَليلٌ يَقْتَضِي تَحْرِيمَهُ

الاسْمُ المَوْصُولُ (مَا) في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿كُلُوا۟ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾، يَدُلُّ عَلَى العُمُومِ، وهَذَا يَدُلُّ "عَلَى أَنَّ كُلَّ مَا لَمْ يَرِدْ فِيهِ نَصٌّ، أَوْ ظَاهِرٌ مِن الأَعْيَانِ المَوْجُودَةِ في الأَرْضِ، فأَصْلُهُ الحِلُّ، حَتَّى يَرِدَ دَلِيلٌ يَقْتَضِي تَحْرِيمَهُ، وأَوْضَحُ دَلَالَةً عَلَى ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ قَوْلُهُ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: 29]"[4].

وظِيفَةُ قَوْلِهِ: ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ الإعرابيَّة في الجُمْلَةِ:

بَـيـانُ الـحُـكـمِ الـشَّـرْعِـيّ مع عِلَّتِه

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿كُلُوا۟ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾، اخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ في بَيَانِ وظِيفَةِ: ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ قال الرَّازِي: "إِنَّ شِئْتَ نَصَبْتَهُ عَلَى الحَالِ مِمَّا في الأَرْضِ، وإِنْ شِئْتَ نَصَبْتَهُ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ"[5]،

(1) القِنّوجي، فتح البيان: 1/334.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/213، والنّسفيّ، مدارك التنزيل: 1/149.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/102.
(4) القِنّوجي، فتح البيان: 1/334.
(5) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 5/185.

و﴿حَلَٰلًا﴾ مَفْعُولُ ﴿كُلُواْ﴾، أَوْ صِفَةُ مَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ، أَوْ حَالٌ من ﴿مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾"[1]، وقَالَ ابْنُ عَطِيَّة: "مَقْصِدُ الكَلَامِ لَا يُعْطِي أَنْ يَكُونَ ﴿حَلَٰلًا﴾ مَفْعُولاً بـ ﴿كُلُواْ﴾"[2]، وقَدْ أَحْسَنَ الشَّيْخُ ابْنُ عَاشُور في بَيَانِ ذَلِكَ: "وَقَوْلُهُ: ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ حَالَانِ مِنْ (مَا) المَوْصُولَة، أَوَّلُهُمَا لِبَيَانِ الحُكْمِ الشَّرْعِيِّ، والثَّانِي لِبَيَانِ عِلَّتِه؛ لِأَنَّ الطَّيِّبَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ تَقْصِدَهُ النُّفُوسُ لِلِانْتِفَاعِ بِهِ، فَإِذَا ثَبَتَ الطِّيبُ ثَبَتَتِ الحِلِّيَّةُ؛ لِأَنَّ اللَّه رَفِيقٌ بِعِبَادِهِ، لَمْ يَمْنَعْهُمْ مِمَّا فِيهِ نَفْعُهُم الخَالِصُ أَو الرَّاجِحُ"[3].

دَلَالَةُ الجَمْعِ بَيْنَ الصِّفَتَيْنِ: الحَلَالِ والطَّيِّب:

كـلُّ مـا جَـمَـعَ الصِّفَتَيْنِ، جازَ الانْـتِـفـاعُ بِـهِ بِكُلِّ وَجْهٍ أَحَلَّهُ الشَّرْعُ

في قَوْلِه ﷻ: ﴿كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾، جَمَعَ بَيْنَ صِفَتَيْن: الحَلَالِ والطَّيِّب؛ لِأَنَّهُ "أَرَادَ كُلَّ مَا يُغْتَذَى بِهِ مِن المَطَاعِم؛ ولِهَذَا جَمَعَ بَيْنَ الوَصْفَيْنِ لِاخْتِلَافِ الفَائِدَتَيْن؛ إِذْ وَصْفُهُ بِأَنَّهُ حَلَالٌ، يُفِيدُ أَنَّهُ طَلْقٌ، ووَصْفُهُ بِأَنَّهُ طَيِّبٌ أَنَّهُ يُغْتَذَى بِهِ، وهُوَ مُستلَذٌّ في العَاجِلِ والآجِلِ، فعَلَى هَذَا: التُّرَابُ والخَشَبُ طَاهِران، ولَا يَحِلُّ أَكْلُهُمَا؛ لِأَنَّهُمَا لَيْسَا مِن الطَّيبِ الَّذِي يُغْتَذَى بِهِ"[4]، وقَالَ الزَّجَّاجُ: "هَذَا عَلَى ضَرْبَيْن: أَحَدُهُمَا الإِبَاحَةُ، لِأَكْلِ جَمِيعِ الأَشْيَاءِ إِلَّا مَا قَدْ حَظَرَ اللَّه ﷻ من المَيْتَة، ومَا ذَكَرَ مَعَهَا، فيَكُونُ ﴿طَيِّبًا﴾ نَعْتًا لِلحَلَالِ، ويَكُون لفظُ ﴿طَيِّبًا﴾ نَعْتًا لِمَا يستَطَابُ، والأَجْوَد أَنْ يَكُونَ ﴿طَيِّبًا﴾: مِنْ حَيْثُ يَطِيبُ لَكُمْ، أَيْ لَا تَأْكُلُوا وتُنْفِقُوا ممَّا يَحْرُمُ عَلَيْكُمْ"[5]، فالآيَةُ تَخُصُّ المَأْكُولَ، فما يُؤْكَلُ يَجِبُ أَنْ يَجْمَعَ الصِّفَتَيْن، وإِلَى هَذَا أَشَارَ أَبُو حَيَّان: "وَظَاهِرُ الآيَةِ أَنَّ مَا جَمَعَ الوَصْفَيْن: الحِلَّ والطَّيِّبَ ممَّا في الأَرْضِ، فهُوَ مَأْذُونٌ في أَكْلِه، أَمَّا تملُّكُهُ والتَّصَدُّقُ بِهِ، أَوِ ادِّخَارُهُ، أَوْ سَائِرُ الِانْتِفَاعَاتِ بِهِ غَيْرِ الأَكْلِ، فلَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الآيَةُ"[6].

---

(1) البيضاويّ، أنوار التنزيل: 1/118.
(2) ابن عطيّة، المحرَّر الوجيز: 1/237، وأبو حيّان، البحر المحيط: 2/99.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/102، وإسماعيل حقي، روح البيان: 1/271.
(4) النيسابوري، التّفسير البسيط: 3/483.
(5) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/241.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/101.

دَلَالَة النَّهْيِ عَن اتِّبَاعِ الخُطوَاتِ في قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾:

إباحَةُ الأكْلِ مِنَ الحَلالِ الطّيِّبِ، يُـفْـهَـم مِنـهـا ضِمْنًا النّهيُ عَنِ الحَرامِ الخَبيثِ

الخُطُوَات في قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾، تَعْنِي كُلَّ المَعَاصِي، فلَا تَخْتَصُّ بِمَعْصِيّةٍ دُونَ غَيْرِهَا، فالمُرَادُ "النَّهْيُ عَنْ مَعْصِيّةِ اللَّه، وكَأَنَّهُ تعالى لَمّا أَبَاحَ لَهُمُ الأَكْلَ من الحَلَالِ الطَّيِّب، نَهَاهُمْ عَنْ مَعَاصِي اللَّه، وعَن التَّخَطِّي إِلَى أَكْلِ الحَرَام؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يُلْقِي إِلَى المَرْءِ، مَا يَجْرِي مَجْرَى الشُّبْهَةِ، فيُزَيِّنُ بِذَلِكَ مَا لَا يَحِلُّ، فزَجَرَ اللَّه عَنْ ذَلِكَ ... والنَّهْيُ هُنَا عَنِ اتِّبَاعِ كُلِّ فرْدٍ من المَعَاصِي، لَا أَنّ ذَلِكَ يُفِيدُ الجَمْعَ، فلَا يَكُونُ نَهْيًا عَن المُفْرَدِ"[1].

براعةُ الاستِعارَةِ في جَرَيانِها مجرى المَثَل:

الشّيطانُ عـدُوٌّ الإنْـسـانِ عَـلى الـدَّوامِ، واتِّباعُ خُـطُواتِهِ ضَلالٌ وهَلاكٌ

النَّهْي في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ يَعْنِي تَرْكَ اتِّبَاعِهِ، وجَعَلَهُ الشَّرِيفُ الرَّضِيّ اسْتِعَارَةً عَن الاقْتِدَاءِ بِهِ، واتِّبَاعِ آثَارِهِ، قال في تَلْخِيص البَيَانِ: "وقَوْلُهُ تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾، أَيْ لَا تَنْجَذِبُوا في قِيَادِهِ، لِأَنَّ المُنْجَذِبَ في قِيَادِ غَيْرِهِ، تَابِعٌ لِخُطُوَاتِهِ، وهَذِهِ مِنْ شَرَائِفِ الاسْتِعَارَةِ؛ فهِيَ أَبْلَغُ عِبَارَةٍ عَن التَّحْذِيرِ مِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ، فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ، وقَبُولِ قَوْلِهِ فِيمَا يَدْعُو إِلَى فِعْلِهِ"[2].

ووضَّح كلامَه ابْنُ عَاشُور فقال: "واتِّبَاعُ الخُطُوَاتِ تَمْثِيلِيَّةٌ، أَصْلُهَا أَنَّ السَّائِرَ إِذَا رَأَى آثَارَ خُطُوَاتِ السَّائِرِينَ، تَبِعَ ذَلِكَ المَسْلَكَ؛ عِلْمًا مِنْهُ بِأَنَّهُ مَا سَارَ فِيهِ السَّائِرُ قَبْلَهُ إِلَّا لِأَنَّهُ مُوَصِّلٌ لِلمَطْلُوبِ، فشَبَّهَ المُقْتَدِيَ الَّذِي لَا دَلِيلَ لَهُ سِوى المُقْتَدَى بِهِ، وهُوَ يَظُنُّ مَسْلَكَهُ مُوَصِّلًا، بِالَّذِي يَتَّبِعُ خُطُوَاتِ السَّائِرِينَ، وشَاعَتْ هَاتِهِ التَّمْثِيلِيَّةُ حَتَّى صَارُوا يَقُولُونَ: هُوَ يَتَّبِعُ خُطا فُلَان، بِمَعْنى يَقْتَدِي بِهِ ويَمْتَثِلُ لَهُ"[3].

(1) المصدر السّابق: 2/101.
(2) الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن: 2/118.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/103.

وجَعَلُها أَبُو حَيَّانَ من الكِنَايَةِ، قَالَ: "والنَّهْيُ عَنِ اتِّبَاعِ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ، كِنَايَةٌ عَنْ تَرْكِ الاقْتِدَاءِ بِهِ، وعَن اتِّبَاعِ مَا سَنّ من المَعَاصِي"[1]، ومَعْنَى (خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) طُرُقُهُ، أَيْ لَا تَسْلُكُوا الطَّرِيقَ الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ"[2]، ومآلَها في المعنى إلى التَّمثيليَّةِ.

دلالة الألف واللّامِ في ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ بين الجنسِ والعَهْدِ:

الألف واللّام في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾، يَجُوزُ فِيهَا أَنْ تَكُونَ لِلجِنْسِ، أو لِلعَهْدِ، قال أَبُو حَيَّان: "وَالشَّيْطَانُ هُنَا إِبْلِيسُ"[3]، وهِيَ بِهَذَا التَّفْسِيرِ تَدُلُّ عَلَى العَهْدِ، وأَشَارَ الشَّيْخُ ابْنُ عَاشُور إِلَى أَنَّ لَهَا مَعْنَيَين؛ فقال: "واللَّامُ في ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ لِلجِنْسِ، ويَجُوزُ أَنْ تَكُونَ لِلعَهْدِ، ويَكُونُ المُرَادُ إِبْلِيسَ، وهُوَ أَصْلُ الشَّيَاطِينِ وآمِرُهُمْ؛ فكُلُّ مَا يَنْشَأُ مِنْ وسْوَسَةِ الشَّيَاطِينِ، فهُوَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ الَّذِي خَطَا الخُطُوَاتِ الأُولَى"[4].

العَهديَّةُ تدلُّ على الأصل والجنسيَّةُ تدلُّ على الفَرْعِ، واتِّباعُ أحدِهما اتِّباعٌ للآخرِ

دَلالَةُ قَوْلِهِ تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾:

جَاءَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾، بَعْدَ النَّهْيِ عَنْ اتِّبَاعِ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ، في قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾، لِيَكُونَ جَوَابًا عَنْ سُؤَالٍ عَنِ العِلَّةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا مَنَعَ اتِّبَاعَ خُطُوَاتِهِ، فالجُمْلَةُ "تَعْلِيلٌ لِسَبَبِ هَذَا التَّحْذِيرِ مِنَ اتِّبَاعِ الشَّيْطَانِ، لِأَنَّ مَنْ ظَهَرَتْ عَدَاوَتُهُ واسْتَبَانَتْ، فهُوَ جَدِيرٌ بِأَنْ لَا يُتَّبَعَ في شَيْءٍ، وأَنْ يُفَرَّ مِنْهُ، فإِنَّهُ لَيْسَ لَهُ فِكْرٌ إِلَّا في إِرْدَاءِ عَدُوِّهِ"[5]، فهو "تَعليلٌ لِلنّهي عَنِ الاتِّباعِ"[6]، ويُؤَكِّدُ ذلك مَجيءُ (إنّ)؛ لِأنّها تُفيد مَعنى التَّعليلِ والرَّبْطِ، بَعْدَ الأمر والنّهي.

تعليلُ التّحذيرِ مِنِ اتِّباعِ الشَّيطانِ، حَصانَةٌ لِلإنْسانِ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/101.
(2) الزجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/241.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/101.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/103.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/101.
(6) القِنّوجي، فتح البيان: 1/335.

دَلالَةُ تَأْكِيدِ الخَبَرِ:

عَداوَةُ الشَّيْطانِ للنَّاسِ مُتَقَرِّرَةٌ في العُقولِ مُغَيَّبَةٌ في الأعمالِ

جاء الخبرُ مُؤكّدًا بـ (إنّ) في قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾، للاهْتِمامِ بالخَبر؛ "لأنّ العداوةَ بين الشّيطان والنّاسِ، معلومةٌ متقرّرة، عند المؤمنين والمشركين، وقد كانُوا في الحجّ يرمون الجمار، ويَعْتَقِدُون أنّهُم يرجُمُون الشّيطانَ، أو تجعل (إنّ) للتّأكيد، بتنزيلِ غيرِ المتردِّدِ في الحكم مَنزلةَ المُتَردِّدِ أو المُنْكِرِ؛ لأنّهُمْ لِاتّباعِهِمُ الإشاراتِ الشّيطانيَّةَ، بِمَنزلةِ مَنْ يُنْكِرُ عَداوتَهُ"[1]، وهذا الاهتمامُ يبلُغُ مبلغَ خطابِ المُنكرين؛ لأنَّ اتِّباعَ الشَّيطانِ هو حالُ الجُمهورِ الأعظمِ من النَّاس، فباتَتْ أعمالُهم دليلَ أفكارِهم، بل أصبح هناك من يعبدُ الشَّيطانَ من دون الله، اتِّباعًا للشُّهرَةِ، وانقيادًا للتَّفاهةِ.

نكتةُ التَّقْدِيمِ والتَّأْخِيرِ في قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾:

القُرْآنُ مُوَجَّهٌ لكلِّ إنسانٍ، وعلى المُخاطَبينَ إيصالُهُ إلى كلِّ إنسانٍ

قدّمَ الجارَّ والمجرورَ ﴿لَكُمْ﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾، على مُتَعَلَّقِهِ وهو قولُهُ: ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾؛ لِبَيَانِ أَنَّ عَداوَتَهُ لِلمُخَاطَبِينَ دُونَ سِوَاهُمْ، وذلك باعتبارِ أنَّ هذه الآيةَ يجبُ أنْ تصلَ إلى كلِّ إنسانٍ تبليغًا واحتجاجًا فتكون خطابًا له، ففيها دعوةٌ إلى تبليغ القُرآنِ للأنامِ، وأنَّ التَّقصيرَ في ذلك عمدًا هو من اتِّباعِ خُطُواتِ الشَّيطانِ.

التّعبيرُ عَن عَداوةِ الشّيطانِ بِالإبانَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿مُّبِينٌ﴾:

الشّيطانُ عَصِيٌّ عليهِ الأتْقِيَاءُ، ولا يَستَدرِجُ إلّا مَطْمُوسي البَصائِرِ

عبّرَ قولُه ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾، بالإبَانَةِ عَنِ انْكِشَافِ عَدَاوَةِ الشَّيْطَانِ لِلنَّاسِ، فهي ظاهرةٌ لا خَفاءَ بها، فالشيطان "ظَاهِرُ العَدَاوَةِ لَا خَفَاءَ بِهِ، ظَاهِرِ العَدَاوَةِ عِنْدَ ذَوِي البَصِيرَةِ وإِنْ كَانَ يُظْهِرُ المُوَالَاةَ لِمَنْ يُغْوِيه، ولِذَلِكَ سَمَّاهُ وليًّا، في قولِهِ تعالى: ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [البقرة: 257]"[2]، وهذه الآية لا يناقضُها قولُه ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/104.
(2) البيضاويّ، أنوار التنزيل: 1/118.

كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [البقرة: 257]، على أنّ المرادَ بالطّاغوت الشّيطانُ، فالتّعبيرُ بِأنّهُ وليٌّ لهم، لا يناقِضُ عَداوَتَهُ؛ " لأنّه عَدُوٌّ للنّاسِ حقيقَةً، ووليُّهم ظاهرًا؛ فإنّه يُريهم في الظّاهرِ الموالاةَ، ويزيّن لهم أعمالَهُمْ، ويُريد بذلِكَ هَلاكَهُم في الباطِنِ"[1].

(1) النّسفيّ، مدارك التنزيل: 1/149.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»